جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

سيكولوجية العنف والشغب لدى الجماعات

د. سعد سعيد الزهراني

٢٠٠٠م

البحث الثالث

سيكولوجية العنف والشغب لدى الجماعات

د. سعد سعيد الزهراني

سيكولوجية العنف والشغب لدى الجماعات : دراسة نظرية

مقدمـــة

لقد اصبح مفهوم العنف والشغب من المفاهيم التي تتردد على اسماعنا كثيراً سواء من خلال وسائل الإعلام أو حديث الأفراد والجماعات عن هذه الظاهرة التي اصبحت تمثل ظاهرة بارزة في المجتمعات المعاصرة، وخاصة تلك المجتمعات التي تعاني من بعض الأزمات الداخلية. والعنف قد يستخدم احياناً كإستراتيجية في تحقيق بعض المطالب سواء من خلال الشغب (Riot) أو المواجهات (Confrontation) واثارة القلاقل (Disturbance) وربما يتعدى الأمر إلى الإرهاب في بعض الحالات وهو ما تقوم به بعض الجماعات الأكثر تنظيماً وقد يصل هذا الأمر احياناً إلى الثورة كما هو الحاصل عند حصول تلك الجماعات على الدعم المادي والبشري لتحقيق مطالبها.

ونحن في هذه الورقة سنقصر الحديث على العنف والشغب عند الجماعات كظاهرتين مرتبطتين ببعضهما البعض تحدثان بصورة اكثر تكراراً عند وجود الحشود الكبيرة فهما من ابرز مظاهر سيكولوجية الحشد التي يهتم علماء النفس الاجتماعي بها سواء كان ذلك على مستوى الحشود أو التجمعات الصغيرة التي توجد عرضياً كما هو الحال عند تجمهر المارة عند حادث ما أو على مستوى الحشود الكبيرة نسبياً التي توجد في الميادين العامة اثناء المناسبات الرياضية أو الدينية أو الاجتماعية المختلفة.

وكثيراً ما تتحول بعض هذه الحشود من مجرد تجمع مسالم إلى حشد عنيف يتخذ من العنف والشغب وسيلة للتعامل مع موقف عارض وغامض أو لتحقيق بعض المطالب التي قد لا يكون لها علاقة مباشرة بذلك الموقف وإنما تتعداه إلى قضايا اجتماعية معقدة.

٣ . ١ العنف

تعرف موسوعة علم النفس والتحليل النفسي العنف (Violence) بأنه : السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً كالضرب والتقتيل للأفراد والتكسير والتدمير للمتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره. ويمكن أن يكون العنف فردياً يصدر عن فرد واحد كما يمكن أن يكون جماعياً يصدر عن جماعة أو هيئة أو مؤسسة تستخدم جماعات واعداداً كبيرة على نحو ما يحدث في التظاهرات السلمية التي تتحول إلى عنف وتدمير واعتداء أو استخدام الشرطة للعنف في فض التظاهرات والاضرابات.

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (بدوي، ١٩٨٢، ص٤٤١) بأن العنف هو «استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما».

ويرى بعض الباحثين أن العنف يختلف جزئياً عن مصطلح العدوان (Aggression) الذي تعرفه موسوعة علم النفس والتحليل النفسي بأنه «كل فعل يتسم بالعداء تجاه الموضوع أو الذات ويهدف للهدم والتدمير نقيضاً للحياة في متصل من البسيط إلى المركب أو القصوى» (بدوي، ١٩٨٢، ص٤٧٩).

ويشير شوقي (شوقي، ١٩٩٤) إلى أن بعض الباحثين يستخدمون العنف والعدوان بوصفهما مترادفين ولكن الوصف الدقيق لذلك أن المفهومين يختلفان إذ أن العنف شكل من اشكال العدوان كما أن العنف يقتصر على السلوك الذي يستهدف إلحاق الأذى بالآخرين بينما العدوان قد يكون له جانب مادي أي سلوكي وقد يكون له جانب لفظي أو غير ذلك

من الجوانب، أي أن العدوان كما يقول أكثر عمومية من العنف فكل ما هو عنف يكون عدواناً والعكس غير صحيح. فمثلاً الإضراب يعد عدواناً سلبياً ولكنه لا يندرج تحت العنف، كذلك فإن إطلاق الشائعات التي تسيء بسمعة الآخرين يعد من قبيل العدوان غير المباشر ولكنه لا يحتسب عنفاً.

ويرى النمر (١٤١٩) أن العنف يقترن بالقوة أو الإكراه أو القسر وهو يعرف العنف كالتالي: «العنف سلوك ظاهر شديد التدمير القصد منه إيذاء الآخر كما يحدث في سلوك القتل العمد أو تحطيم الممتلكات» (ص ٣١). أما بالنسبة للعدوان فيرى النمر (١٤١٦هـ) أن هناك عدواناً سلبياً يستدعي بقصد إيذاء الغير وعنوان إيجابي لا يستدعى بقصد الإيذاء وهو العدوان الذي يطمح الفرد من ورائه إلى تحقيق ذاته إيجابيا، وعليه فإن النمر يرى أن مصطلح العدوان له معنيان هما:

أ- العدوان السلبي وهو الاستجابة التي تصدر من الفرد أو الجماعة ويقصد من ورائها - شعورياً أو لا شعورياً - إيذاء الهدف الذي يحول أو حال دون تحقيق إشباع حاجة الفرد أو الجماعة.

ب- العدوان الإيجابي وهو الاستجابة السلمية الناضجة التي تصدر من الفرد أو الجماعة ويقصد من ورائها - شعوريا أو لا شعورياً - التغلب على العائق أو العوائق الذي يحول «أو حال» دون تحقيق الإشباع الحاجة.

ومن هذين التعريفين للعدوان يتضح إن قصد الأذى ملازم للعدوان السلبي حيث يظهر ذلك في العدائية أو الغضب أو العنف، بينما لا يكون الأمر كذلك في العدوان الإيجابي حيث يتسم هذا النوع من العدوان بالأساليب السلمية الناضجة من أجل تحقيق الأهداف وإشباع الدوافع والحاجات مثل تأكيد الذات.

ويشير سابيني (Sabini,1995,) إلى تقسيم مشابه حيث يبين أن علماء النفس الاجتماعي عادة ما يطلقون لفظ العدوان على الأفعال التي يكون القصد منها إيذاء الآخرين وهم يفرقون بين نوعين من العدوان : النوع الأول ويطلق عليه العدوان الانفعالي (Emotional Aggression) وهو الذي يتضمن تلك التصرفات التي تهدف إلى إيذاء الضحية كضربة في وجهه أو تحطيم شيء من ممتلكاته، أما النوع الثاني فهو ما يسمى بالعدوان الإجرائي (Instrumental Aggression) ويتضمن تلك التصرفات التي يقصد بها إيذاء الآخرين ولكن يكون الهدف ليس إيذاء الضحية وإنما الحصول على أمر ما كما يحدث عندما يقوم اللص بضرب الضحية من أجل سرقة المال، فالهدف ليس الإيذاء وإنما السرقة.

٣ . ٢ الشغب

أما الشغب (Riot) فهو حالة من حالات العنف، ولذلك فإن موسوعة علم النفس والتعليم النفسي تعرفه بأنه «حالة عنف مؤقت ومفاجئ تعترى بعض الجماعات أو التجمعات أو فرداً واحداً أحياناً وتمثل إخلالاً بالأمن وخروجاً على النظام وتحدياً للسلطة أو لمندوبيها على نحو ما يحدث من تحول مظاهرة سلمية أو إضراب منظم تصرح به السلطة إلي هياج عنف يؤدي للإضرار بالأرواح والممتلكات (ص ٤١٤).

والعنف في كثير من الأحيان ينتهى إلى شغب وخاصة عند وجود الأسباب التي تؤجج مشاعر الناس. ومن هذه الأسباب ما يشير إليه جرينلي وزملاؤه (Greenley et al,1975) حيث يوضح أن من أسباب الشغب :

١ ـ الأسباب الاجتماعية وتشمل الخلافات بين جماعات معينة، والشعور بالظلم، والشعور بالاضطهاد من الجماعات الأخرى وعدم الحصول على الموارد الكافية التي ينظر إليها أفراد بعض الجماعات على أن لهم الحق في الحصول عليها أسوة بغيرهم من الفئات التي تمتلكها.

٢ ـ الأسباب النفسية، وعادة ما تعود هذه الأسباب إلى شعور الفرد أو جماعة من الأفراد بالإحباط تجاه بعض القضايا التي لا يتحقق لها حلول كما ينبغي أو كما يرى هذا الشخص مما يولد الإحباط وتزايده يوما بعد يوم حتى يتحول هذا الإحباط إلى رغبة ملحة في الانتقام من المصدر المستهدف إن أمكن أو يمثله إذا كان الانتقال من المصدر بعيد المنال.

٣ ـ الأسباب السياسية، وتتمثل في عدم تحقيق المطالب التي تحقق للأفراد ما يصبون إليه من الشعور بالأمن على النفس والدين والعرض والمال والعقل وهي نفس المطالب التي جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيقها وجعلتها من مهمات الدولة أو الحاكم المسلم التي يستمد منها شرعية وجوده.

٤ ـ الأسباب الاقتصادية، وتتمثل في عدم تحقيق ما يكفل الحصول على الموارد المادية أو المالية التي تكفل الحياة اليومية الكريمة للأفراد أو الجماعات وخاصة ما يتعلق بالحد من البطالة وتوفير فرص العمل المناسبة لمن يحتاج إليها.

ويرى أبو النيل (١٤٠٥) أن للشغب والعنف ظروفاً تجعله أكثر احتمالا للوقوع منها :

١ ـ كثرة التجمعات في نواصي الشوارع في مناطق التوتر.

٢ ـ الاجتماعات السرية التي تحدث أحياناً من بعض الجماعات التي تود دائماً أن تحقق بعض المصالح من خلال العمل على تأجيج الجماهير واستغلال حاجاتها الضرورية.

٣ـ وجود ما يسمى بالعصابات الذين يستغلون أيضا مبدأ (اضرب واهرب) لإحداث حالة من اضطراب في المناطق التي تكون عملياتهم فيها وهذا بالتالي قد يولد الشغب من قبل الأفراد الذين يعيشون في تلك المناطق .

والشغب أيضاً له آثار سلبية على الذين يعيشون في البيئة التي يكثر فيها هذا المظهر من مظاهر العنف فهو يؤدي إلى القلق والخوف والتوتر وعدم النوم وعدم القدرة على القيام بالمهمات اليومية كما ينبغي .

أما بالنسبة لما يحققه الشغب لمن يقوم به ، فقد أبانت نتائج بعض الدراسات على بعض من قاموا بأعمال الشغب أو العنف من الأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية أن من يقومون بالشغب عادة ما يشعرون بانخفاض الشعور بالإحباط وانخفاض الشعور بالعجز بالإضافة إلى الشعور بتحقيق الاحترام من قبل الغير (Greenley, et. al.1975) .

ويرى جرينلي وزملاؤه أيضا أن هناك مجموعة من المتغيرات قد تحد من وقوع العنف والشغب في المجتمعات منها :

١ ـ وجود صراع أو خلاف اجتماعي (Social conflict) أو الاضطرابات المرتبطة بأسباب خارجية تجعل جماعة تتماسك لمواجهة التهديد الخارجي وتنسى خلافاتها ومشاكلها الداخلية ولو مؤقتاً .

٢ ـ الكفاح المشترك (Common Struggle) لتحقيق هدف عام للجماعة يجعل من الأفراد أكثر حرصا على تحقيق هذا الهدف وأقل ميلا للانخراط في أعمال العنف أو العدوان الموجه نحو الأفراد الآخرين من أبناء جلدتهم .

٣ـ شعور الفرد بأهميته واحترامه لذاته (Self-worth) يجعله يبتعد عن أعمال الشغب والعنف التي يدرك أنها لا تتناسب مع فكرته عن نفسه .

٤ ـ العزو الخارجي للأسباب في حالات كثيرة يعزو الأفراد أسباب ما يعانون منه سواء كان ذلك اجتماعيا أو نفسيا أو سياسيا أو اقتصاديا إلى عوامل خارجية أو جماعات أخرى وبالتالي لا ينخرطون في أعمال الشغب والعنف وذلك لأن الأسباب في نظرهم خارجة عن إرادتهم .

ويلاحظ أن الشغب يحدث عادة في الحواضر ولا يحدث إلا في حالات نادرة في الضواحي أو في التجمعات القليلة وذلك لشعور الأفراد في تلك التجمعات بنوع من التجانس والإحساس القوي بتماسك الجماعة ، بينما يكون هنالك شعور بالعزلة أو أحياناً بعدم الانتماء في المدن أو التجمعات الكبيرة وبالتالي يسهل قيام بعض المجموعات بالشغب وخاصة مجموعات الشباب التي قد تنخرط في الشغب بعد بعض المناسبات كالمباريات الرياضية .

على كل تظل ظاهرة العنف والشغب من المظاهر العامة التي تحدث في كثير من الأحيان عند الحشود وتوفر الظروف أو الأسباب التي توحد تلك الحشود حول فكرة القيام بفعل أو برد فعل ـ كما يتم إدراكه من قبل أفراد الحشد ـ يتمثل في سلوك العنف والشغب الذي يحدث من تلك الحشود سواء كان ذلك في المناسبات الرياضية أو غيرها .

ويرى أبو النيل (١٤٠٥) أن للشغب أشكالاً متعددة من أهمها :

١ ـ العنف المفاجئ وهذا في العادة يحدث نتيجة تراكم للتوتر لدى فئة من الناس فتحدث حادثة قد تبدو صغيرة في نظر المسئولين إلا أنها تحدث الشغب من قبل الجماهير .

٢ ـ الشغب الذي يتراوح بين العنف المفاجئ والمستمر وهذا قد يكون في كثير من الأحيان نتيجة للتذمر الموجود في نفوس الناس وخاصة عندما

تتعرض مصالحهم المادية أو الاجتماعية للتهديد ويتمثل ذلك مثلاً في رفع أسعار بعض السلع الضرورية أو تقييد حرية الناس، إضافة إلى عدم وجود ما يلبي احتياجات الأفراد الضرورية فتتراكم هذه الإحباطات ثم تأخذ ردود فعل في شكل أحداث عنف وشغب تحدث بين الفينة والأخرى.

٣ـ الشغب العام أو الكبير وهذا أشبه بالانفجار الذي يحدث نتيجة تراكمات لشكوى مستمرة لمدة طويلة من الزمن تلقى تجاهلاًمن الأطراف المعنية وتمس حياة قطاع كبير من الناس، فحينما لا يجد هؤلاء من ينظر إلى احتياجاتهم قد ينخرطون في محاولة للانتقام والعدوان من المؤسسات الاجتماعية ومن يمثل مؤسسات الضبط الاجتماعي بشكل عام.

٣ . ٣ النظريات المفسرة للعنف والشغب والعدوان

لاشك أن ظاهرة العنف والعدوان والشغب وما في حكمها من الاضطرابات الاجتماعية تحدث بشكل متكرر في كثير من مجتمعاتنا المعاصرة لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بعوامل نفسية واجتماعية يختص بها الأفراد ومنها ما يتعلق بعوامل بيئية تتعلق بالظروف المحيطة باؤلئك الأفراد لعل من أبرزها :

١ـ وجود تجمعات كبيرة من السكان في مناطق ضيقة أحياناً.

٢ ـ وجود مناسبات متنوعة تستلزم أحياناً التنافس بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد.

٣ـ وجود بعض الأفراد الذين يندسون في هذه التجمعات لإثارتها من أجل إحراج السلطات أو من أجل إثارة الرأي العام لقضية تهم هذه المجموعة.

٤ ـ عدم الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والنفسية في إدارة الحشود خاصة في حالات المناسبات التي تحتمل وجود خلاف أو نزاع بين المجموعات أو الفئات الاجتماعية المختلفة .

ومن أهم النظريات التي حاولت تفسير سلوك العنف أو العدوان النظريات التالية :

أولاً : التفسير البيولوجي :

وهو التفسير الذي يرى أن العنف أو العدوان أمر غريزي وأن الاستجابات تكون عادة استجابات حتمية والقول بأن الاستجابة تكون غريزية يعني :

أ ـ أن لها هدفاً محدداً وأن لها نتائج أيضاً محددة .

ب ـ أن الاستجابة عادة ما تكون مفيدة أو هامة للفرد أو للنوع .

ج ـ أن الاستجابة تكون عملية تكيفية للبيئة المحيطة أي أنها عملية طبيعية ولست شاذة .

د ـ أن الاستجابة تكون مشتركة بين أفراد أو أعضاء الجماعة أو النوع .

هـ ـ أن الاستجابة تتطور بطريقة محددة كلما كبر الفرد .

و ـ يمكن إبطالها وفق تجارب محددة للفرد .

وضمن التفسير البيولوجي هنالك أكثر من نظرية لعل من أبرزها :

١ ـ نظرية فرويد التي يرى فيها أن العدوان غريزة تنبثق من غريزة الموت (Death Instinct) أو الهدم كما تسمى أحياناً، وهي الغريزة المضادة لغريزة الحياة (Life instinct) ، أي أن العدوان لدى فرويد جزء مما يسميه غريزة الموت أو نزوة الموت وهي النزوة التي تقابل أو تعارض نزوة اللذة، نزوة الهدم هذه تكون موجهة في الأساس إلى هدم الذات

(Self-destruction) وفيما بعد طور هذا المفهوم فرويد لتكون موجهة نحو الأخرين (Hogg and Vaughan,1998) .

٢ـ النظرية الثانية هي ما يطلق عليها أحياناً النظرية الاثولوجية أو الدراسات الأثلوجية (Ethological theory) التي تهتم بدراسة الطباع وتؤكد على أن سلوك الكائن الحي تكويني نشوئي (Genetically determined) تحدده عوامل الانتخاب الطبيعي (Controlled by natural selection) ومن أشهر هذه النظريات نظرية العالم الفائز بجائزة نوبل لورنز (Konrad Lorenz) التي تقوم على فكرة غريزية السلوك، حيث يرى لورنز في كتاب أصدره في عام ١٩٦٦ أن العدوان كغريزة تعتمد على ما يسميه غريزة القتال التي تطورت مع الإنسان في أثناء حياته على مر السنين لأهميتها لبقائه ولحفظ النوع .

٣ـ النظرية الثالثة تحت التفسير البيولوجي في نظرية التفسير البيولوجي الاجتماعية (Sociobiological theory) وهذه النظرية تقوم على أساس أن كل مظاهر السلوك الاجتماعي بما فيها سلوك العدوان والعنف يمكن فهمها من خلال مفاهيم نظرية النشوء والارتقاء أو نظرية التطور لداروين، أي أن كل سلوك يساعد الأفراد على نقل جيناتهم أو مورثاتهم إلى الجيل الآخر فإنه سيصبح سائداً في هذا النوع أو في هذه الجماعة . وبما أن السلوك العدواني أو العنف يساعد الذكور في عدد من أجناس الكائنات الحية للحصول على شريك الحياة فإن مبدأ البقاء للأصلح سيعمل على زيادة مستوى العدوان لأنه يحقق عملية احتفاظ الذكور بسيطرتهم وحصولهم على ما يريدون في حياتهم (Baron and Byrne,1994) .

والملاحظ على النظريات التي تندرج تحت التفسير البيولوجي أنها اعتمدت بشكل خاص على الملاحظة وأحياناً تكون هذه الملاحظة ـ كما